حرقتها نيران المعركة فانصهروا فيها وصاروا منها او كادوا . كذلك وجد الملتزمون العرب والثوار الفلسطينيون ان المعركة تفتح امامهم مجالات نضالية جديدة وانها تؤكد سلامة تصوراتهم وامكانية اختصار المراحل الكثيرة في معركة التحرر الوطني . صحيح ان وهج المعركة دفعنا من خلال الانضباط بحركيتها ان نعتبر هدفها المعلن ليس بالضرورة هدفها الحقيقي . من هنا تنشأ الصدمة التي ما كان يجب ان تحصل ولا يجب ان تحصل . ان انضباط الملتزمين والثوار باطار المعركة وقبولهم بتوجهاتها كان طبيعيا ومطلوبا . فمن يطالب بالمعركة اثناء مرحلة اللاسلم واللاحرب يدخل في صلبها عند حصولها . فمجرد قيامها يفرض على الملتزمين والثوار الانخراط فيها ولكن هذا لا يعفيهم من المثابرة على التزام هدفهم السياسي العام . لكن الذي حصل ويحصل ان اعـــلان الهدف السياسي القومي اذا جاء وكأنه محاولة من اجل تحريف المعركة عن هدفها المحدود اثناء قيامها فان هذا من شأنه ايجاد الثغرة السياسية التي تضعضع مستوى التلاحم القومي العام المطلوب . لذلك فان المرحلة القادمة التي سوف نمر بها تتطلب منا الكثير من التقشف . لانه حتى اثناء وقف اطلاق النار لا بد ان تبقى الجبهة الشاملة للمعركة معبأة بدرجة قصوى كي يستطيع عرب المعركة تحقيق القدر الاكبر من المطاليب القومية التي خاضوا المعركة من اجلها . هذا الاستنفار للملتزمين وللثوار الى جانب الحوارات الدولية التي يقوم بها عرب المعركة هو استمرار لحالة الانضباط التي فرضناها على انفسنا اثناء الحوار القتالي الرائع الذي خاضه عرب المعركة .

السؤال الذي يطرح نفسه اذا هو هل ان مواصلتنا الانضباط في مرحلة وقف النار يعني تفريطا بالتزاماتنا الثورية والتحريرية الكاملة ؟ الجواب على ذلك يكمن فيما اشرنا اليه ان القضية الفلسطينية ستكون أمام مواجهات معقدة لكنها ليست بالصعوبة التي كانت فيها بعد الهزيمة الحزيرانية . ومجابهة التعقيد تكون أشد ايلاما من المجابهات الصعبة لكنها تستحضر الناحية الابداعية والجدلية الكامنة في كل فكر ثوري اصيل .

لا بد أن يبدأ تقييمنا لما حصل ان الامة العربية ـــ بواسطة القوات المسلحة المصرية والسورية وقوات الثورة الفلسطينية ـــ مكنت العرب اجمالا ان يهزموا الهزيمة . هذا بدوره يعني ارتفاعا كيفيا في درجة الاستنهاض القومي . يستتبع هذا بالضرورة حالة نفسية ـــ سياسية مستجدة تنقل الكثيرين من العرب من وضع الاتكال علـــى الغير لتحقيق مطاليبهم المرحلية الى وضع الاتكال على الذات لتحقيق كافة مطاليبهم . كذلك فان معركة تشرين الاول ١٩٧٣ اثبتت للعرب صحة نظرية الثورة الفلسطينية بأن لا سبيل لمحاورة الكيان الصهيوني الا الحوار القتالي وانه مثلما جاءت معركة الكرامة تؤكد رفض العرب الانهزامية هكذا جاءت معارك السويس وسيناء والجولان تؤكد رفض العرب واقع الهزيمة .

صحيح ان المطلوب هو أكثر من هزيمة الهزيمة . فالاكتفاء بهذا القدر يعني اننا لم نتهيأ للانتصار . ونحن كما أثبتنا لا يهمنا الانتصار من أجل الانتصار بل من اجل ايجاد المدخل الذي تتصحح فيه جذريا أوضاع المنطقة بأسرها ـــ خاصة الاوضاع القائمة في فلسطين .لكن هزيمة الهزيمة اذا صارت هي المبتغى فسوف يعني هذا انه أريد بالمعركة ان تنقذ ماء وجه التسوية . هذا ما يفسر التمزق الذي يعيشه الملتزمون والثوار الا ان تحويل التساؤل عن ما بعد معركة تشرين الى تسليم بحتمية التسوية يعني تخليا عن المنهج الجدلي المطلوب تطبيقه بدقة في هذه المرحلة . لانه حتى ولو سلمنا جدلا بأن ما بعد المعركة هو التسوية فان التسوية لا تتضمن المعاني نفسها التي كانت قد تضمنتها التسوية لو حصلت بدون معركة . قد يقال بحق لكن التسوية بعد معركة وان كان فيها ايجابيات واضحة من حيث واقع الاستنهاض الشعبي ومن عودة الثقة بالنفس ومن